

البداية والنهاية

من يتمنى العمر فليتخد ... صبرا على فقد أحبابه ... ومن يعمر يلق في نفسه ... ما يتمناه لأعدائه ... كذا ذكر ابن الساعي هذين البيتين من شعر سيف الدولة في أخيه أبي فراس وذكرها ابن الجوزي من شعر أبي فراس نفسه وأن الأغرا بي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما ومن شعر أبي فراس ... سيفقدني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر ... ولو سد غيري ما سدت اكتفوا ... به وما فعل النسر الرفيق مع المصر ... وقوله من قصيدة ... إلى الله أشكو إتنا بمنازل ... تحكم في آسادهن كلاب ... فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضي والأنام غضاب ... وليت الذي بيبي وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة .

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى واسط ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد فهرب منه الفتكين في الأتراك إلى بغداد فسار خلفهم فنزل في الجانب الشرقي منها وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربي وحصر الترك حسرا شديدا وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الاطراف ويقطعوا عن بغداد الميرة الوالصلة إليها فغلت الأسعار وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهوب وكبس الفتكين البيوت لطلب الطعام واستند الحال ثم إلتفت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فرده عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرما ونزل هو بدار الملك وضعف أمر بختيار جدا ولم يبق معه شيء بالكلية فأغلق باهه وطرد الحجة والكتاب عن باهه واستعفى عن الإمارة وكان ذلك بمشورة عضد الدولة فاستعطفه عضد الدولة في الطاهر وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل فلم يقبل وترددت الرسل بينهما فصمم بختيار على الامتناع طاهرا فألزم عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزا منه عن القيام بأعباء الملك فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله وإخوته ففرح بذلك الخليفة الطائع وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخليفة ما كان دارسا وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنسا وأرسل إلى الخليفة بالأموال والأمتعة الحسنة العزيزة وقتل المفسدين من مردة الترك وشطار العيارين قال ابن الجوزي وفي هذه السنة عظم البلاء بالعيارين ببغداد وأحرقوا سوق باب الشعير وأخذوا أموالا كثيرة وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد وأخذوا الخفر من الأسواق والdroob